مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد02 2022/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

حول الجسد والتحولات الراهنة:

(دراسة أنثروبولوجيا لظاهرة الجلباب عند المرأة الجزائرية وعلاقته بالتدين)

On the body and its current transformations: an anthropological study of the phenomenon of robes)

بن ناصر شيماء[1] *

[1]جامعة وهران2

chaimabennacer99@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/01/28 تاريخ القبول: 2021/04/16

الملخص:

تندرج هذه الدراسة ضمن واقع التَّطوُّرات التي تحدث لمفهوم ستر الجسد باعتبارها ظاهرة اجتماعية، وتحديدا المتعلقة بلباس الجلباب في المجتمع الجزائري، كون هذا الأخير تمتزج فيه العديد من التقنيات الجسدية والسلوكيات والتي أصبحت توحي إلى الجلباب بمقاييس معينة داخل الثقافة الإسلامية، كما أن مفهوم الجلباب تعرض لمجموعة من التحولات والتي نعتبرها في موضوع الدراسة هذا ثقافة دينية دخيلة على المجتمع الإسلامي الجزائري، تهدف الدراسة هذه إلى اكتشاف و نمذجة سلوكيات ارتداء الجلباب لدى المرأة الجزائرية، حيث يبرز من خلالها وجود عدة اختلافات بين نساء العينة المدروسة فيما يتعلق بارتداء الجلباب وذلك سواء حسب جهات انتمائهن الجغرافية أو حسب الجهات التي تلقين عنها الدين ولا شك حسب قناعاتهن أيضا.

الكلمات المفتاحية: الجسد، الجلباب، المرأة، التدين.

Abstract:

This paper examines the reality of the development that occurred to covering the body as a social phenomenon related explicitly to the Jilbab dress in Algerian society. The latter is mixed with many physical techniques and behaviours, referring to the Jilbab with specific Islamic culture standards. Besides, the Jilbab conception witnessed a set of transformations that we consider in this study a religious culture that is weird to the Algerian Islamic community . This current research aims as well at scrutinizing and modelling the behaviour of Jilbab wearing among Algerian

*المؤلف المرسل: بن ناصر شيماء، الايميل: chaimabennacer99@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

women. Accordingly, we came up with several differences between the women of the studied sample regarding wearing the Jilbab due to their Geographical residence or sources from which they received the religion or even their convictions.

Keywords : Body, Jilbab ,woman, religiosity.

مقدمة:

يعتبر اللباس بمثابة مؤشر هوياتي يعبر عن ثقافة الفرد باختلاف أسسها وتنوع مظاهرها داخل المجتمع، حيث يشكل هذا الأخير البنية الفوقية للإنسان إذ يحمي النواة الأساسية وهي الجسد من عديد المخاطر والأضرار، والجسد إنما هو البنية التحتية في هذا المفهوم وحسب تعبير بيار بورديو Pierre Bourdieu الحركات الجسدية تستطيع أن تطبع المبادئ الأساسية للثقافة التي هي بعيدة عن كل وعي وعن أي تفسير، ولولا وجود البنية التحتية لا وجود لبنية فوقية، فاللباس يعطي نظارة و تفاصيل أكثر للجسد وهو أداة تجعل من الجسد رمزا، فمثلا في بعض المجتمعات تكون الشفرات الثيابية الدقيقة جدا دالة على الجماعة التي ينتمي إليها الفرد والمكانة التي يحتلها، فـ "إنه من خلال طريقتة في اللباس متوقع ضمن رقعة جغرافية اجتماعية معينة ". (الزهرة ،2009 ص 123)

وعليه فإن استخدام الجسد يقوم على مجموعة نماذج رموز وشعائر وتتنوع بكثرة عن طريق الثقافات والعصور والطبقات وكذلك المجموعات المحصورة"(Maisonneuve,2001)، ومن بين هذه الرموز والشعائر نجد أن اللباس أو السلوك الثيابية ميزة خاصة جدا إذ أنه أكثر ما يلفت انتباه الآخر في الفضاء العمومي و هو أيضا أول ما يعطي انطباعا عن شخصه و هويته،وبذلك فان الممارسات الجسدية من خلال اللباس تتنوع بتنوع الثقافات والانتماءات وتمثل معيارا اجتماعيا وثقافيا يتأثر ويؤثر في شتى مظاهر التفاعل الإنساني؛ولهذا فإن دراسة موضوع الجلباب لدى المرأة الجزائرية يمكن أن تتأتى من خلال التحليل الأنثروبولوجي الذي يتيح عملية فهم وتحديد انتماء المرأة، "حيث إن الجسد قد ساهم في حل أزمة الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا خاصة وأن الإثنولوجي لما يصف إثنية وطرق عيشها والأنثروبولوجي لما يدرس ثقافة الانسان و خصوصيته وشموليته فهما بطريقة غير مباشرة سيمران على الجسد وبأي صورة كانت" (طيبي،2018،ص115).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن الجلباب كونه لباسا دينيا فهو يرى بمثابة صبغة اجتماعية تعكس الواقع الديني المعاش للمرأة وتجسده أيضا كممارسة اجتماعية وسط الفضاء العمومي، فمن المنظور الديني الإسلامي هذا اللباس جاء ليستر جسد المرأة داخل المجتمع كي لا يكون الجسد مجرد مصدر إغواء غرائزي واستثارة للميولات الجنسية، والشاهد أنه في العديد من المجتمعات –حيث قد تطغى النظرة الجنسية للمرأة– نجد هذه الأخيرة تتخبط بين محاولة إبراز دورها كفاعل اجتماعي و بين محاولة ستر جمالها الجسدي ومفاتنها داخل الفضاء العام وكذلك نجدها في صراع بين الطرق التي تسنها القوانين الدينية والنصوص وبين الطرق التي تناسب شخصها و التي يفرضها طابع المجتمع الذي تنشط فيه، هذا وخاصة أن كل مجتمع يتفرد في تحديده للعناصر المميزة لجمال المرأة ولمعايير المثالية الجمالية وذلك عبر تفاصيل جسدها كحجم و شكل الصدر وكذلك الخصر والحوض والساقين؛وفي هذا المقال سنشير إلى تقنيات ارتداء المرأة للجلباب والتي ترتبط مباشرة "بالجسد الأنثوي وجسمها وكيفية استغلال هذا اللباس من منطلق تدينها حيث يملك الجسد أبعادا ودلالات ثقافية مرتبطة بتصورات وتمثلاث المجتمع وبيئة الفاعل الاجتماعي" (بلحسن،2019،ص104).

قد لا يمكن الحديث عن الجسد دون التطرق إلى اللباس الذي هو بعد من أبعاده وفي ذاك يقول رولان بارت لا يمكننا التحدث عن الجسم الإنساني دون أن نطرح مسألة اللباس لأن الثياب كما يقول هيكل "يصبح فيها المحسوس دالا، أي أن الثياب هي بما يصبح به الجسم دالا وبالتالي حاملا لعلامات خاصة" (الزهرة،2009،ص122)،فبالرغم من أن الجلباب هو لباس ديني إسلامي دخيل على المجتمع الجزائري جراء الظروف الإجتماعية والسياسية التي جعلت المرأة الجزائرية تتبنى هذا اللباس وتعبر به عن هويتها الدينية إلا أنها أيضا قد ساهمت فيه بالمزج بين ثلاثة متطلبات: دينية وجسدية وعصرية، ومن خلال الدراسة الميدانية مثلا التي قامت بها الأستاذة بلحسن مباركة حول المرأة الحسانية وثقافة الجسد بالمجتمع الحساني تشير الأستاذة إلى أن "الملحفة الحسانية تعتبر من الزي الرسمي وصمودها في الوقت الحاضر راجع إلى الجمع بين القوى الثلاث الدينية والتقليدية والتحديثية" (بلحسن،2019،ص106)، وإذ أن الجلباب ربما أدى الدور المثالي في حفظ المرأة وكيانها وسط بعض المجتمعات فارتداء الجلباب الذي شكل في الأصل ثقافة دخيلة على مجتمعنا المحلي صار أيضا وسيلة أبرزت من خلالها المرأة في مجتمعنا المحلي استيرادها –إن صح التعبير– لهذه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الثقافة الدينية من مجتمع إسلامي وتطبيقها وممارستها في مجتمع إسلامي مغاير، و هي بهذا تبث و لو عرضا بأن للحجاب الإسلامي مفهوما آخر يجعله يقبل التطورات و يظهر بأشكال عديدة.

من خلال التحولات الحضارية، الثقافية والاجتماعية التي طرأت على اللباس وجعلته يتغير شيئا فشيئا عبر موجات الموضة والصيحات الأخيرة واللوك، فإن الجلباب تأثر بمجموعة من التغييرات وذلك تحت إسهام من الضغط الصحفي والإعلامي الذي "يجبر النساء على التخلي عن الحشمة ثم الانحراف قليلا صوب السفور والجري خلف الموضات" (مجلة الحكمة،ص106)، ولعل سعي بعض النساء لمواكبة عالم الموضة والجمال من أجل أن تنطبق مفاهيم الحضارية والعصرنة على أجسادهن هو الأمر الذي جعل علاقة المرأة بجسدها تصبح علاقة عرفان وامتنان وعلاقة اهتمام عن طريق التغير والتغيير و هو الذي أبرز هذه العلاقة في شكل ثقافة جديدة،فحسب خلود السباعي في دراسة لها حول التفاعلات الشخصية والإجتماعية أن الجسد قد مثل الشئ المزين والمقنع والمتغير بتغير المجتمعات والثقافات (السباعي،2007،ص21)؛ هذا ما يجعلنا نطرح تساؤلنا: كيف يمكننا تحديد وقراءة مفهوم الجسد الأنثوي من خلال التحولات الراهنة الحاصلة على أحد أبعاد الجسد ألا وهو اللباس وبالتحديد ظاهرة الجلباب في المجتمع الجزائري؟

أهداف البحث:

أصبح الجلباب موضوع الساعة المتداول في الوسط النسوي حيث عرف الجلباب مجموعة من التغيرات داخل المجتمع عبر مراحل زمنية، سعيا من المرأة لأن تواكب هذه الفترات بما تتطلبه لكن حسب تصورها وتوجهها، و هو الهدف الذي يجعلنا نغوص في هذه الدراسة لتتبع التحولات التي طرأت على الجلباب وتقنيات ارتدائه.

المنهجية المتبعة:

اعتمدنا في البحث هذا على المنهجية الأنثروبولوجية التي تساعد على الوصول الى المعطيات من خلال تحليل النتائج أو المظاهر، وانصب اختيارنا لميدان البحث على حي العقيد لطفي المتواجد بمدينة وهران حيث انتقينا عينة النساء المتجلببات أو اللاتي ترتدين الجلباب، حيث انتهجنا الملاحظة الإثنوغرافية الدقيقة والمقابلة الحرة وكذلك المنهج الوصفي التحليلي لوصف ميدان البحث كما اعتمدنا على النظرية الوظيفية والنظرية التفاعلية الرمزية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تقنيات ارتداء الجلباب :

يوجد لارتداء الجلباب في كل ثقافة مجتمعية تقنية وطريقة خاصة وهي محل تباين واختلاف من امرأة إلى أخرى، كل حسب وجهة نظرها وما يناسب رغبتها كأن تختار بين ارتداء الجلباب ذي قطعة أو ذي قطعتين و هي تتبع في ذلك –حسبما وصفت بعض المبحوثات– ميولها و النمط الذي يعزز إحساسها بالراحة عند لبسه، ونستشهد بتصريح إحدى النساء المبحوثات إذ تقول:"الجلباب ذو قطعتين أحسن من الجلباب ذي قطعة واحدة، ففي فصل الشتاء يساعدني مع هبوب الرياح وهطول المطر".

وقد تكلم مارسيل موسMarcel Mauss) (في كتابه "علم الاجتماع والأنثروبولوجيا" عن تقنيات الجسد على أنها مجموعة من الوسائل التي يستعين بها الأفراد –حسب البيئة التي يعيشون فيها– والطريقةُ التي يستخدم بها الناس أجسادهم من مجتمع لآخر، وهناك مجموعة من الممارسات والنشاطات في الحياة اليومية مستمدة من المجال الإجتماعي فلكل امرأة مثلا ميزتها الخاصة في إبرازها لتفاصيل جسمها إذ تختلف النساء حسب الحجم والطول والعرض من نحيفة إلى سمينة إلى متوسطة و غيرها، فلباس المرأة يخضع إلى عملية تقسيم حسب تفاصيل جسدها من مناطق بروز و ضمور أو نحافة و ثخانة و حتى مناطق طول و قصر، وهذا الذي وجدناه في مجتمع البحث حيث لكل أنثى تصورها الذاتي حول مقاييس الأنوثة ومعايير إبرازها في إطار ما هو مشروع دينيا.

الجلباب و تفاصيل الجسد في المجتمع الإسلامي:

لقد اهتمت معظم الثقافات عبر تباين الأزمان والمسافات وكذلك الديانات السماوية بالجسد البشري ومن بينها أو على رأسها الإسلام، إذ يخصص الإسلام للجسد مكانة في الفكر الإسلامي وفي التربية والمعاملة والعناية ويجعل له كذاك حرمة كبيرة جدا، ولأن جسد الإنسان قد يتجلى إما وسيلة أو غاية وربما كليهما في كثير من ممارسات البشر، وعلى مستواه أيضا تكون الإفرازات التي هي من المنتجات الأبرز للسلوكيات الاجتماعية، فإن الإسلام قد وضع مجموعة من الضوابط والإلتزامات بغية الحفاظ على هدا الجسد فحرم أولا إيذاءه وحث على صحته وسلامته وحد من حرية التصرف فيه حسب الأهواء والنزوات وأطرها واشترط أيضا طهارته وفرض صونه من العري كي لا يكون عرضة للأطماع والتعديات أو وسيلة للفتنة والإغراء وخاصة عند المرأة، فالإسلام قد خصص نظرته للجسد الأنثوي وجعل من لباس المرأة أداة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

للحفاظ على هذه القدسية التي خصها بها، وفي الفكر الإسلامي يتجلى الجسد وخاصة الأنثوي رمزا للشرف لا بد له من السترة، ولأنه بوابة للعرض فقد اعتبر بذاك مقصدا من مقاصد الشريعة على خلاف ما نصت عليه ديانات أخرى مثل اليهودية إذ ترى أن المرأة مجرد إنسان يخضع للرجل ولرغبته في النسل وعلى عكس المسيحية التي ترى طوائف فيها المرأة مجرد جسد لا روح له.

هذا وقد اهتمت كل شرائح المجتمع الإسلامي من جهة أخرى بالجسد بعيدا عن اعتباراته الطبيعية والبيولوجية، فصورته في ذلك البعد جسدا ثقافيا واجتماعيا محضا، وفي سياق هذا يؤكد دافيد لوبروتون بأن الجسد في المجتمعات التي تسودها الفردانية يساهم في قطع العلاقات الاجتماعية لأن الإنسان يبحث دائما عن علاقات تربطه بالآخر لكي يتكيف معه ولتمنحه روح الجماعة (LeBreton,1990,p69)؛ وجاءت ثقافة ستر تفاصيل جسد المرأة عن طريق اللباس الذي كان حاملا في طياته جينات لمجموعة من الثقافات منها الإسلامية حيث اعتبر الجلباب كلباس ديني إسلامي دخيل على مجتمعنا الجزائري وكان هدفه الوحيد ربما هو ستر الجسد الأنثوي،وتبنته المرأة الجزائرية خارج الفضاء المديني لفرض وجودها ولاكتمال دورها في مختلف القطاعات.

يمكن للجسد الأنثوي أن يشكل مجال إغراء وفتنة ومجال أطماع وميول وبالتحديد من خلال تضاريسه وتفاصيل قوامه ومن خلال رسمه وصفاته المنظورة، وعبر هته السمات الخاصة بكل أنثى وميزاتها من أعلى لأسفل كالسمنة والنحافة ومقاسات الصدر والخصر والأرداف وغيرها فإن هذه الأماكن من الجسد بالذات قد تعتبر لشدة الإهتمام بها رموزا، وقد قارب مارسيل موس(Marcel Mauss) "وأدخل الرمز على الجسد وإلى علم الإجتماع حيث تمكن من الربط بين الرمزية وشكل الجسد وسلوك الفرد من ناحية والمجتمع من ناحية أخرى"(LeBreton,1990,p26)؛ فالإسلام قدس جسد المرأة بعد كيانها الروحي وشبّه بعض أعلام الإسلام المرأة جسدا بالقطعة الثمينة من الجواهر كالماس لا بد للحفاظ عليها من الإستتار و التواري عن أنظار كل من قد يطمع فيها فيشكل خطرا، وستر أعضاء جسم المرأة وجمالها كان متوفرا في لباس الجلباب.

إن الجمال الجسدي للمرأة في الإسلام التاريخي يشكل ثقافة (الزاهي،،2012،ص77)، وبذلك تخضع المسلمة أو تُخضع نفسها إلى عملية تسمى صون الجسد بما يرضي الله عز وجل وهو الذي سماه فريد الزاهي بالجسد الثوابي، إذ يندرج هذا ضمن احترام التركيبة النموذجية للمقدس الإسلامي وبه يظهر الفرد تعبيراته

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الشعائرية، والجسد يدخل في مجموعة من السلوكات ويمتلك مجموعة من التقنيات يؤثر جميعها على الممارسات الإجتماعية، فالسترة والحرمة وإلغاء كل أنواع التعدي و لو بالنظر و أنواع الفتنة والإغراء عن طريق الزينة والتبرج لإبداء المفاتن و الجمال إنما كان بغرض حماية المجتمع من الإفتتان والإضطراب الذي تسببه الميولات الجنسية، فيوجه الله عز وجل النساء المسلمات من خلال خطابه لأزواج النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب إذ يقول تعالى:(﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى﴾) (الأحزاب 33)، وعليه فالحجاب جاء ساترا لجسم المرأة كما يقول فيه القاضي أبوبكر بن العربي: "أن النساء لحم على وَضَم إلا ما ذُبّ عنه، كل أحد يشتهيهن وهن لا مدفع عندهن بل ربما كان الأمر إلى التخلي والإسترسال فيهن أقرب من الاعتصام فحُصّن عليهن بالحجاب وقطع الكلام ومباعدة الأشباح إلا مع من يستبيحها وهو الزوج" (م المقدم 2004، 56).

الجلباب والثقافات الدخيلة:

يصنف الجلباب لباسا دينيا إسلاميا ووسيلة لمواراة مفاتن جسد المرأة والتي قد تضايق كثيرا منهن أثناء القيام ببعض نشاطاتهن اليومية، حيث نجد في عينتنا أن كل مبحوثة تتميز بطريقتها في استعمال جسدها وبالطريقة التي تستره بها، وقد عبر مرسيل موس(Marcel Maus) (: "الطريقة التي يستخدم بها الأفراد أجسادهم من مجتمع لآخر عبر العديد من الأمثلة التي قدمها منها وجود الكثير من الحركات والنشاطات في الحياة اليومية مثل المشي أن المشي رمزا اجتماعيا" (Mauss,1950,p27)، خاصة وأن الجسد له حركاته وإيماءاته التي يريد أن يبرز بها داخل الفضاء العمومي ويصعب ذلك في ظل وجود بعض المشاكل الجسدية التي تعاني منها بعض المبحوثات –حسب تسميتهن– وهي الصفات الجسدية التي لا يردنها كالسمنة والبروز الزائد لبعض مناطق الجسد عكس المبحوثات النحيفات اللواتي لايعانين هذا الحجم من المشاكل بخصوص أجسادهن وترين أن في النحافة راحة واطمئنانا لسهولة عملية الستر.

إن الغاية من هذا الجسد المشبع بالثقافة الدينية هو الظهور السلس داخل فضاء يضم فاعلين اجتماعيين وفي نطاق محدود بمبادئ وضوابط، لأن كل إنسان له صورته الخاصة حول جسده وله الصورة التي يظهرها لتكون أداة تواصل بينه وبين الفاعلين، فترى ج.بانكو أن صورة الجسد عبارة عن بنية ديناميكية تتغذى من خلال بنيات جزئية هي البنية الشكلية (الشكل) والبنية السيمنتيكية (المعنى) والبنية الرمزية (المجتمع)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

(طيبي،نفس المرجع،ص100)؛ فتقنية ارتداء الجلباب تختلف من امرأة لأخرى باختلاف هذه المركبات، إذ اختيار شكل الجلباب من قطعة واحدة أو قطعتين –مثلا– إنما يكون تماشيا بالدرجة الأولى مع ما يناسب جسدها، وهنا تكون البنية الجزئية المغذية بنسبة أكثر هي الشكل؛ ووجدنا كذلك لدى بعض المبحوثات أن طريقة ارتداء الجلباب ترتبط مباشرة بنسبة الإلتزام والتدين، إذ رأينا من خلال مجتمع بحثنا أنواعا من الجلابيب تجل جميعها في مضمون واحد هو الدين لكنها تختلف في الشكل والتقنية فمنها العادي ومنها العصري وغيره، إلا أن جميعها تصب في قالب واحد وهو ستر مفاتن الجسم من أعلاه لأسفله، فبداية بالشعر لأنه سهل الإبداء وله الصدارة في نسبة زيادة جمال المرأة مرورا بالرقبة التي هي منطقة رمزية في الإحساس والجاذبية وهكذا، فكون "جسدنا معطى ثقافي بفعل الواقع فهو نص سواء أردنا ذلك أم أبينا ،ومن خلال أجسادنا نشير إلى وضعية أجسامنا وإلى ألبستنا، فالجسد مهما يكن من أمر، هو موضوع عمليات حل الشفرات، فلغة الجسد تتيح لكل فرد معرفة المجموعة التي ينتمي اليها والوضعية التي يشغلها فيها" (Françoise,1981P14).

ونذكر من بين أنواع الجلابيب:

جلباب القطعة الواحدة: هو جلباب يتكون من قطعة واحدة تكون طريقة لباسه من الأعلى ويرخى على سائر الجسد حتى الأسفل، يعرف هذا النوع خاصة عند النساء الأكثر التزاما —حسب الوصف– واللاتي ينتهجن منهج السلف، فهذا النوع من الجلباب لا يظهر تفاصيل الجسم، قماشه ليس بخشن ولا رهيف ويكون من النوعية الرفيعة، وهو يستر جميع الجسم من أعلاه لأسفله لأنه عريض وفضفاض.

جلباب القطعتين: يتكون هذا النوع من قطعتين، القطعة العلوية التي هي عبارة عن كاب يتوقف طولا إلى الركبتين، والجزء السفلي وهو تنوره عريضة، فهذا الشكل من الجلباب يستخدم —حسب المبحوثات– من طرف نساء نمط تدينهن ليس ذا صفة ملزمة أو متشددة، وأحيانا من طرف فئة قليلة تقارب صفة الالتزام، فأغلبية المبحوثات في عينتنا المجتمعبة يملن إلى ارتداء هذا الشكل لأنهن يرتحن فيه ولأنه يستر الجسم بصفة خاصة فيستقل في الحركة أسفله عن أعلاه و هو يحمي الجسم من التعري في الرياح مثلا، وبتعبير مغاير فإن هذا النوع من الجلباب قد "يعطي نظارة للجسد والمظهر الحداثي من جهة ويقوم بعملية الستر من جهة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أخرى لذلك قد تميل بعض المبحوثات لهذا النوع من الستر وقد أصبح عدد النساء المهتمات به في تزايد لأنه يهتم بصحة وشكل ومظهر أجسادهم بوصفها تعبيرا عن هوياتهم" (شلنج،2009 ص 20).

أما الجانب النفسي فهو يلعب دورا كبيرا في تقنية اللباس حيث يمثل ويفرض ميول المرأة وشعورها بين إحساسها بالراحة وبين الصورة التي ترغب في أن تظهر عليها في الفضاء العام، وقد تكلم مارسيل موس (Marcel Mauss) أيضا في كتابه "علم الإجتماع والأنثروبولوجيا" عن تقنيات الجسد على أنها مجموعة من الوسائل التي يستعين بها الأفراد حسب بيئتهم المعيشية وأنها الطريقة التي يستخدم بها الناس أجسادهم من مجتمع لآخر، وهناك مجموعة من الممارسات والنشاطات في الحياة اليومية مستمدة بشكل تام من المجال الإجتماعي يتقبلها البعض ويتبنونها بغرض التأقلم النفسي فقط، فالجلباب قد يشكل جدارا وظلا حاميا بالنسبة للمرأة التي لا تريد الإنخلال حسب تيارات المظاهر بل ويجعلها تشعر براحة نفسية أيضا وباستقلالية وقوة في الشخصية.

الجلباب بين الجسدي والمناخي:

إن البيئة التي يعيش فيها الإنسان تتمايز وهي تتجلى في العديد من العوامل التي قد تؤثر على الجسدي والديني،فمنها العوامل المناخية مثلا كالرياح والأمطار و البرد والحر والتي تؤثر في عملية بروز الجسد وتفاصيله و في راحة الإنسان داخل لباسه فتدفع هذه العوامل المرأة إلى اختيار نوع الجلباب ونوع الملابس التي تلبس تحته وفوقه، فقد ترى بعض المبحوثات في اختيار نوع الجلباب الذي يساعدها على ستر عورتها من عوارض المناخ أن جلباب القطعة الواحدة هو الأنسب لتفادي التعري بسبب هبوب الرياح مثلا، بينما يقع اختيار بعضهن على الجلباب ذي القطعتين لأن له طواعية كبيرة في الحركة، فتعقيد الأسباب البيئية التي لا تلائم نوع الجلباب –حسب تصريحات المبحوثات– يجعل المرأة الجزائرية في صراع مع هذا الخيار أو ذاك ومع تفسيراته، فبين من تفسر أن الجلباب ذا القطعة الواحدة أحسن فيما يخص الأسباب المناخية كأوقات الرياح التي تجعل جلباب القطعة الواحدة يرفرف كثيرا عكس جلباب القطعتين الذي يحمي الجسد —حسبهن– أثناء هبوب الرياح القوية، فأولا كونه لباسا دينيا إسلاميا يتكون من قطعتين تتمثلان في الكاب الذي يستر الجزء العلوي والتنورة التي تستر الجزء السفلي فهو يقوم بعدة وظائف، والسبب الثاني يكون عن مشكل جسدي يسبب معاناة لبعض المبحوثات مثل السمنة المفرطة أو السمنة في مناطق محددة من الجسم حيث

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تؤدي إلى بروز غير مرغوب فيها خاصة في مناطق الصدر أو الخصر أو الحوض و الأرداف، وبذلك فالجلباب يساهم في عملية إخفاء الحجم وكسر الشكل على حد سواء.

إن الملابس بصفة عامة قد تصنف إلى ثلاثة أصناف، ملابس داخلية ثانوية وملابس رئيسية وملابس فوقية، وتعرف المرأة المتجلببة بارتدائها لهذه الأصناف الثلاثة فاللباس الرئيسي هو الجلباب واللباس الثانوي هو الداخلي و أيضا لباس ما فوق الجلباب الذي ترتديه بعض المبحوثات يحبذه بعضهن باختلاف الأسباب التي تمنعهن.

فيما يجعل المرأة تقتني أو ترتدي ملابس تحت الجلباب تتداخل أسباب عدة، جسدية واجتماعية ودينية ومناخية أيضا كضربات الريح القوية التي قد تلصق الثوب الرقيق على الجسد، ولهذا تتعدد أنواع اللباس التي تلجأ إليها المرأة فالسروال على سبيل المثال تتعدد أشكاله وتسمياته فنجد: الكولوcolo، الفيزو أو slim وسروال الجينز، ففي تصريح إحدى المبحوثات يلزم أن يكون قماش السروال خشنا حتى لا يظهر تفاصيل الجسد وتقول أخرى: 'نلبس جلباب قطعة وحدة لخطرش عريض فضفاض ومتبانش لاطاي كي يكون الريح ونلبس تحته سروال Aladinولا Jupe، فحتى لو تعرضت للكشف يظهر السروال العريض بشرط أن يكون ذا لون أسود'، وهناك إحداهن تقول من خلال الحوار أن أغلبية المتجلببات يتحاشين الخروج في أوقات الرياح القوية لأنها قد تشكل عائقا وإحراجا خاصة في الأماكن العمومية.

بعض النساء ضمن العينة المبحوثة يرتدين ملابس فوق الجلباب، ويرين أن هذا يعكس نمط تدينهن وحسبهن أن الإلتزام أو التشدد لا يسمح للمتجلببة بارتداء قطع أخرى فوق الجلباب، فهذا الشكل من الحجاب يتضمن عدة رمزيات ومنها الرمزية الإجتماعية الحضرية حيث ترفض بعض المبحوثات إضافة ملابس فوق الجلباب كالمعطف الشتوي أو الربيعي سواء خفيفا أو خشنا لأنهن يجدنها تساهم في تفصيل الجسم خاصة الجزء العلوي من الكتف والصدر فيحبذن لو يكون ارتداء هته القطع الإضافية تحت الجلباب أو درع الجلباب (الكاب cape)،ومن الشواهد التجريبية على ذلك نذكر تصريح إحدى النساء تقول: 'في فصل الشتاء أرتدي ملابس خشنة أو قطنية كي أبقى دافئة ولا أحبذ أن أرتدي فوق الجلباب معطفا لأنه يفصل أجزاء جسدي وغير جائز من الجانب الديني'، وامتناعهن هذا من جهة أخرى ليس منحصرا على ملابس ما فوق الجلباب بل ويشمل أيضا الحقائب التي تحمل على الأكتاف أو أي وسيلة تساهم في تفصيل أجزاء الجسم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

خاصة الجزء العلوي أي الكتف والصدر، حيث أن الحركات التي تصدر عن الجسد من جراء الحمل و غيره قد تؤثر –حسبهن– على الغرض الديني من ارتداء الجلباب، ومن خلال الأبحاث الإثنوغرافية التي قام بها بيار بورديو Pierre Bourdieu حول الجسد اعتبر "أنه البناء الذي يخضع له الجسد أصبح وكأنه بيداغوجيا ضمنية قادر على تلقين تصور كامل على الكون منها تصورات فلسفية وأخلاقية وسياسية معينة وميتافيزيقيا بعينها من خلال أوامر تتعلق بحركات جسدية" (العشاب،2011)

وهناك من المبحوثات اللاتي لا تبالين فترتدين فوق الجلباب ما تحبين من معاطف صيفية وشتوية وذات طابع الموضة و بإضافة بعض العلامات التي تزود الجلباب بالطابع الحضري والحقائب بمختلف أنواعها، فعبر النقاط التي أشرنا إليها من أن الجلباب يخضع إلى القداسة الدينية والإجتماعية يتبلور دافعنا إلى فهم خصوصية الجلباب وخلفيته والتمعن فيها وكذلك سعينا لكي نوضح بعض المفاهيم التي يتداولها عامة النساء سواء إيجابية كانت أو سلبية، ومن خلال التطرق لتلك النقاط أيضا نلاحظ أن ارتداءالجلباب لوحده في الفضاء العام قد يعتبر السر في اعتبار ذلك الجسد كقطعة من الألماس حين يتسامى مفهومه إلى القدسية.

تفاصيل الجسد:

جسم المرأة مليء بالإيحاءات والتعبيرات التي تنتشر رمزيتها وتشتهر، وهي ضمن تفاصيل الجسد المخفية وراء الجلباب الذي يستر معظم جغرافيا هذا الجسد، فعدة أجزاء منه قد تشكل نوعا كبيرا من الفتنة ما يجعل المبحوثات تسعين إلى ستر تفاصيلها سواء بتقنيات شائعة أو بطرقهن الخاصة، وحسب تعبير سعاد خوجة كل الإيماءات التي تبديها المرأة في الفضاءات الذكورية وتمس الجسد ينبغي سترها ويجب خاصة تغطية المناطق المثيرة جنسيا، بداية من الجزء العلوي للجسد إلى الصدر والكتفين الذي هو الكتلة أو المنطقة التي تسقط العين على رؤيتها لأنها محل إثارة وإغواء بالدرجة الأولى وهي المنطقة الأولى بالجسم بعد الوجه خاصة وان كانت هناك بروز، فكل مبحوثة ولها توجهها في عملية الستر ومن تصريحاتهن أنهن يحاولن بكل طريقة إخفاء منطقة الصدر عن طريق الكاب أو الدرع، أما بالنسبة للوجه من سائر الجسد فهو لا ينفصل لكنه يشكل أعلى مرتبة وله تفاصيله الخاصة والتي سوف ندقق فيها، ثم هناك الكتفان حيث يكون الجلباب حسب ملاحظتنا ذا طبيعة فضفاضة وليس بضيق، أما مستوى الخصر فيستر بالكاب أو الدرع لأنه في طبيعته يفصل حتى الركبتين ما يدعم وظيفة الإخفاء لمنطقة الصدر والخصر والحوض والأرداف والتي تؤديها قبله

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التنورة وتنسدل على الجزء السفلي حتى الساقين ثم القدمين؛هذا فيما يخص الجلباب ذا القطعتين أما ذا القطعة الواحدة فهو يقوم بكل ذاك مرة واحدة وهي الستر لكل تفاصيل الجسم من فوق إلى أسفل، ويحذر ابن القيم الجوزية من "الخلوة للمرأة لمن لها جمال فخطاب المرأة عنده يغلب عليه التحذير وتحدث عن جغرافية المرأة لجمالية من الوجه إلى القدمين إلى الثدي إلى البطن وصولا إلى الساق و القدم" (المستاري،2010،ص14).

فهذا الجسد الثمين والمقدس إنما يحظى بالرقابة الإجتماعية والحيطة من طرف المتجلببات كونه مصدر إثارة معرضا للنظر في الفضاء الحضري، هذا لكي يبقى كل ما يصدر عنه تحت السيطرة، والستر إنما هو ضد الكشف و يكون عن الإغراء والشهوة والفتنة، وتحريم هذه الأخيرة شرعا وثقافة هو ما يجعل المبحوثات تتخذن جميع الإجراءات اللازمة للبقاء على يقظة من أجل المحافظة أولا مما ينجر عن شهوة النظر ومن أجل الحماية ثانيا من النظر نفسه، فبعض المبحوثات حينما يشترين جلابيبهن من محل الألبسة تضطرين إلى زيادة مقاسين أو ثلاثة حسب نوعية القماش، ومنهن من تردن أن تمارسن حرية التعبير في خياطة جلابيبهن فيستعن بمصممات الأزياء modélistes les لتفصيل الثوب حسب رغباتهن والزيادة في المقاس عمدا تفاديا لضيق القماش على الجسم لاحقا ولابأس أن يبدو فضفاضا، فهذا الجهد مع جهد اقتناء القماش المراد خياطته حسب الذوق من حيث النوعية واللون، وجهد البحث عن محل بيع الأقمشة الملائم، وجهد الذهاب إلى محل الخياطة، وواقع أن بعض النساء المبحوثات تستعن في استيحاء موديلات الجلابيب من مواقع التواصل الإجتماعي، كل هذا يؤكد على توازي الأهميتين بالنسبة للمرأة المتجلببة في مجتمعنا، أهمية الإلتزام و السترة و أهمية الظهور بأحسن صورة حسب رأيهن،ولم تخل الثياب بأنواعها من فن الزخرفة فالثوب هو في نفس الوقت طريقة وجود وفن عيش ومهارة تقوم على تقنيات نسج وحياكة وزخرفة خاصة بكل بلاد (Alain,2014)، وكل هذه العمليات تدور حول محور واحد هو الجسم وستر تفاصيله، إظهاره بشكل لائق مع عدم بروزه هو بأي طريقة كانت وبأي شكل من الأشكال موحيا جنسيا، حيث يشير نوربرت الياس إلى "أن من المجموعات السلوكيات التي قد تبدو طبيعية للغاية إلا أنها ثقافية واجتماعية بالأساس من خلال تجلياتها كقواعد معينة تتحكم في هذا الجسد وتجعله يمارس نوعا من الرقابة الذاتية من خلال اللباس

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وتعلم أساليب التصرف والتحرك والتعامل بالجسد وعبر هذا الجسد"†، فهته الأسباب التي جعلت المرأة تفكر في اقتناء ملابس تحت الجلباب هي نفسها التي جعلتها تزيد من مقاسه سواء عند الإقتناء جاهزا من المحلات التجارية أو عند التصنيع أو التعديل لدى المصممات ومحلات الخياطة.

القفازات والجوارب:

لا يخلو الجلباب أيضا من بعض المميزات المضافة والتي سمتها المبحوثات أكسسوارات لباسية و هي تلك التي تساعد نوعا ما في عملية ستر الجسم مع أنها لم تكن من قبل ضمن الحجاب، فمنها القفازات والجوارب إذ تقتصر وظيفتهما على إخفاء اليدين والرجلين بصفتهما جزء لا يتجزء من الجسم، وقد يصنفان في قائمة الفتنة والإثارة عند المرأة داخل المجتمع فمن أهل الدين رغم القلة من يشدد على تغطيتهما بارتداء القفازات والجوارب خاصة لكنّ في هذا اختلاف، وتختلف أيضا بعد ذاك أسباب ارتداء القفازتين والجوارب عند المبحوثات فمنها اجتماعية لهذه ودينية لتلك وذاتية لأخرى، ففي تصريح إحداهن: "ارتديت الجلباب والنقاب وبقى لي هوما زوج ونكمل مواصفات الجلباب"، وفي تصريح أخرى: 'ارتديت القفازات بسبب أني كلما ركبت في حافلة النقل ينظر العديد من الأشخاص إلى يديّ لهذا السبب ارتديت القفازات'.

وزيادة نسبة تدين المرأة والتزامها قد يعبر عنها في المجتمع بعملية ارتداء القفازات والجوارب، إذ رأينا أن المرأة المنتسبة للسلفية تتجه إلى ستر اليدين والقدمين ويستدل بعضهن نصيا مثلا بالدليل الذي ذكره محمد بن صالح العثيمين أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن، قال: يرخين شبرا، قالت: إذن تنكشف أقدامهن، قال: فيرخينه ذراعا ولا يزدن عليه"، ومن النساء المبحوثات أيضا من يسلكن هذا المسار ويقلن للتشبه بأمهات المسلمين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ومن العلماء من يفسر أن وجه المرأة وقدماها ويداها ليست بعورة، فتستدل بعض المبحوثات اللواتي يرتدين الجلباب ولا يغطين أيديهن وأرجلهن بسورة النور حيث ترين أن الله عز وجل أمرنا بالحجاب الفضفاض ولم يأمرنا بتغطية كل الجسم، ودون ذلك فإن بعض النساء المبحوثات ترى أن ظروفهن الإجتماعية والمعيشية كالعمل لها دور كبير في الطريقة التي يرتدين بها الجلباب.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وعلى حد تعبير تويقي توسكاني "أن حساسية الجسد الذاتي مما يجب التفرد في الذوق و الإعتيادية في المظهر الخاص والغاية من الفردانية في المظهر (Karine Tinat,2010,123)، ومن قبيل ذلك كانت تصريحات المبحوثات إذ أن كل واحدة منهن لها طريقتها في التعبير عن رأيها و ذاتها من خلال ممارستها اليومية ومنها ارتداء الجلباب، وكل منهن لها اختياراتها أيضا في طريقة ارتدائه كلباس ما تحت الجلباب و ما فوقه و تصرح إحداهن: "أفضل أن أرتدي تحت الجلباب سراويلا قطنية أو سراويل نوم خفيفة بشرط أن لا تلتصق بالجلباب ولا أفضل أي نوع آخر من السراويل".

تفاصيل الوجه

ننتقل من تفاصيل الجسد إلى تفاصيل الوجه الذي لا نختلف على أنه الرمز الإجتماعي الأكبر والذي يشكل صورة الفرد داخل الفضاء خاصة وأن في تفاصيل وجه المرأة من أكثر ما يلفت النظر والإنتباه لدى الجنس الذكوري، فنجد بعض المبحوثات تلجأن إلى تغطية الوجه وستره تماما وهو الذي يلفت الإنتباه من النظرة الأولى عند التواصل البصريوفي هذا ترى بعضهن بإجبارية تغطية تفاصيل الوجه ورسمه مثل شكل ولون الحاجبين والعينين وكذلك يستدل بعضهن على هذه الإلزامية باحترام قيمة ومكانة الجلباب والغاية الإلاهية منه، وتصرح إحداهن تقول: "الجلباب لابد أن تظهر منه العينان فقط، وذلك خوفا من الفتنة، أما الحاجبان فلابد من تغطيتهما وإلا تتشوه صورة الجلباب بهذا الذي يدخل في إطار الموضة"؛والشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي رحمه الله يقول عن زينة الوجه: "وزينة هي أكبر الزينة التي تُهين عن إبدائها لأجنبي وكشفها كما أمر الرجال أن يغضوا من أبصارهم عنها وعن كل محرم" (المقدم ،2004، 207).

تضطر بعض النساء المبحوثات حسبما وجدنا إلى إضافة خمار ليستر الذقن وأطراف الوجه والحاجبين الأماكن التي تصنفنها من الزينة فيحرم حسبهن إظهارها، ويواجه في هذا السياق الألباني حكم التويجري فيما يخص وجه المرأة حيث ادعى الإجماع على أن وجه المرأة عورة ورد عليه الألباني أن الله عز وجل لم يأمرهن بتغطية وجوههن، فبعض الملتزمات بمنهج السلف الصالح يطبقن هذه الأحكام فقط للإبتعاد عن الفتنة وما شابه ذلك.

هذه الأحكام التي تصدر عن المرأة المتجلببة هي دينية بقدر ماهي اجتماعية وتدخل في مسألة درجة وعي الفرد داخل المجتمع والنظام وكيف يرى جسده أمام الآخر أو كيف يبرزه هو للفضاء العام،ولأنه ضبط

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ديني قبل أن يكون اجتماعيا فأن تسير المرأة وفق الضوابط وأن تطبقها في وسطها الذي تعيش فيه قد يجعلها في تنازع بين مهمتين لكل منهما عدة أوجه طرح ألا وهما اتباع القرآن والسنة أو انتهاج حياة اجتماعية حضرية، وحسب تعبير دافيد لوبروتون (Davide lebroton) "أن الوجه هو الجزء أكثر فردية والأكثر خصوصية في الجسد وأن الوجه رمز الشخص، فالارتقاء التاريخي للفرد يشير بشكل مواز لارتقاء الجسد وبخاصة ارتقاء الوجه"(لوبروتون،صاصيلا،1997،ص41)، وبذلك "يعتبر الإسلام مثل نقطة النقطة المثالية للحضرية "(Man,2017,p128).

النقاب :

إن الوجه بما يحمله من معاني التعبير عن الشخص ومعاني الجمال لم يمنع المرأة بل وربما دفعها إلى زيادة بعض القطع الثانوية التي ترافق الجلباب، فالنقاب الذي صمم خصيصا لسترة الجزء السفلي من الوجه صار يشد أمام الوجه كله ولا يترك ظاهرا منه سوى العينين، وعلى إخفاء النقاب لتفاصيل الوجه إلا أنه لا يمنع حركة الوجه من الظهور، وحسب تعبير دافيد لبروتون أن 'الوجه عاصمة الجسد('لوبروتون،نفس المرجع،ص 148)؛النقاب هو مصطلح عربي له علاقة مع الحجاب الإسلامي وهو قطعة قماش سوداء تغطي جزء من الجسم هو الوجه خاصة الجزء السفلي، وقد ألزمته الحركة الإسلامية السلفية بشكل وتصميم خاصين، وهو من أبرز القطع الدخيلة على المجتمع الجزائري حيث كان العجار يحتل الصدارة في تولي هذه المهمة قبل ظهور النقاب،حيث أن المرأة كفاعل اجتماعي تمارس عدة أدوار داخل مجتمعها والجانب الديني لم يمنعها من ذلك وإنما شجعها على أدائه بأتم الأوجه، فكأن المرأة تتقمص الدور متخفية وراء الجلباب، وقد نقارن ظاهرة ارتداء النقاب على الدراسة التي قام عبد الله حمودي عن الأضحية وأقنعتها و هو بحث في الذكاة والمسخرة حيث ذكر مجتمعات يمارسون طقوسا وشعائر في احتفالياتهم فيتنكر عدة أفراد بارتداء أقنعة ليتشبهوا بأضاحي العيد وهم يتجولون في أرجاء المدينة ويقومون بحركات تعبر عن الفرحة، فنجد هذا التستر يكون للقيام بسلوكيات معينة و لإبدائها وعلى العكس من ذلك فقد يعتبر النقاب في المجتمع كوسيلة للتستر على بعض السلوكيات داخل الفضاء العام، كما "أن الثوب الذي ترتديه النساء في بعض البلدان العربية، ومن بينها المغرب، فقد ظل الحجاب طيلة القرون قماشا شديد الرقة تتحجب به المرأة إذا همت إلى الخروج أو عزمت أن تستقبل في بيتها رجلا، فهو لا يحجب الجسم وحده حتى لا يظهر منه غير الرجلين، لكنه كثيرا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ما يحجب الوجه واليدين بحيث لا يبدو من المرأة غير عين واحدة وهو الحايك أو تضيف إليه نقابا رقيقا جدا (اللثام) أغلب الأوقات يكون أسود أو أبيض يضربن به على وجوههن ورقابهن فلا تظهر منه غير أعينهن فبذلك إن النقاب على الوجه لم يفرضه الإسلام وإنما هو من العادات الخاصة ببعض المجموعات العرقية" (سمية نعمان،ص 32،33 ،2011).

ومن الملاحظاة الدؤوبة وترددنا على ميدان البحث وإجراء المقابلات وجدنا أن المبحوثات ترتدين النقاب وتعتبرنه قطعة تنتمي إلى الجلباب، أي أنه من بين أسباب ارتدائهن النقاب يبرز الجانب الديني حيث تأثرت برأي بعض العلماء الذين ألزموا ارتداء النقاب في تفسيراتهم لسورة الأحزاب، هذا للقول بأن نسبة تدين المرأة لها دور في إضفاء هذه القطعة وربما غيرها.

قد تلعب مؤسسات التنشئة الإجتماعية دورا هاما في تقبل ارتداء النقاب أو عدمه، ففي الأسرة وجماعة الرفقة يكون دافع التأقلم و التعايش مؤثرا جدا في هذا القرار أو هذه القناعة السلوكية، إنما في نظر النسويات هذا الأمر قد يعد انتهاكا لحق المرأة فهي تمتلك هوية محددة ومميزة ولكنها تظهر كسائر البشر من حولها، حيث تصرح بعض المبحوثات أن شقيقاتهن كن السبب في ارتدائهن للنقاب وتصرح أخريات أن أزواجهن ألزموهن على ارتداءه ما يبرز أن الأسرة من جهة تقوم بأسلوب التحبيب والترغيب ومن جهة تلعب دور التنفير، وبعضهن ترى نفسها في دور السارق بارتدائها للنقاب، رغم هذا يظل النقاب يمثل رمزا اجتماعيا يؤدي في مفهومه وظيفة إخفاء الجسد من خلال هته القطعة على الوجه لكي يجعل المرأة تبرز وجودها داخل الفضاء العام وبقوة.

لقد كان النقاب معروفا عند العرب قبل الإسلام وكان طرازا من لباس المرأة وزينتها ولما جاء الإسلام لم يأمر به ولم ينه عنه وتركه لأعراف الناس "وحسب ما تكلم عنه الباحث سمير أمغار من خلال دراسته النقاب والبرقع في فرنسا الذى انتقل من المجتمع الإسلامي إلى المجتمع الفرنسي عن طريق هجرة النساء إلى فرنسا فتوجد حوالى 367 امرأة ترتدى النقاب في المدارس، منهم مغربيات وتونسيات وجزائريات للمحافظة على هويتهن الدينية كظاهرة لم تتقبلها السلطات المحلية لأنه شكل من أشكال الإرهاب في نظرهم، وارتدائه غير مسموح به في الفضاء الحضري. النقاب لم يعد متصورا ولا مقبولا إذ يعد في نظر النسويات انتهاكا لحق المرأة في ان تملك هوية محددة وأن تظهر كسائر البشر" (الجهني،2015،ص338)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أما في ممارسة فريضة الصلاة فقد ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم في أكثر من مناسبة ما في معنى قوله أنه 'لا تنقب المحرمة'،وقد رأى العلماء كراهية النقاب في وقت الصلاة، ومنهم من اتفق على ارتدائه ومن ألزم كشف الوجه، وجاء وجوب ستر الوجه من تفسيرهم لقوله تعالى: (﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾)، فهو عن أمهات المؤمنين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لكن حكمه عام لكافة نساء المسلمين.

الجلباب من الثابت إلى المتغير :

لقد عرف الجلباب في الآونة الأخيرة مجموعة من التغييرات التي مست مورفولوجيته وتصميمه وتفصيله والتي تم استيحاؤها من عالم الموضة الحديثة عند المرأة، واستحوذ هذا النوع من اللباس على الفضاء المديني فأظهر مجموعة من الرموز بدلالات وأبعاد عدة،وقد أطلقت عليه عدة تسميات ترددت في ميدان البحث منها جلباب جديد وجلباب تا ع سروال لوبيا، وهو يتشكل سواء من قطعة واحدة أو قطعتين (الدرع الذي يسمى عند بعضهن بالكاب مع التنورة)، فمجموعة التغيرات هذه قد نرجعها إلى ما يسمى بالحداثة التي أفرزت التغير الإجتماعي عامة على جميع الأصعدة بما فيها مورفولوجيا اللباس الديني الإسلامي وجعلته ينخراط في دائرة الموضة، وقد خضع الجسد كله إلى عملية التحضر من خلال خضوعه لعملية التغيير عبر توالي العوامل مست القواعد السلوكية في المجتمع سيما تلك التي هيمنت على أفكار المرأة الجزائرية وجعلتها تساير الموضة وتواكب العصرنة، لعل هذا قد يعزى إلى عدة أسباب تنصف البديهة بعضا منها مثل الرغبة في التغيير والخضوع للتقليد والسعي إلى الإكتمال أو التفرد، والمحلات التجارية للألبسة أصبحت بذاك تعرف تدفقا هائلا في الصيحات والصيحات الأخيرة التي مست الجلباب ولم تكن مواقع التواصل الإجتماعي بيضاء اليد من ذلك، فمواقع الفاسبوك والإنستغرام واليوتيوب أثارت حولها من الضجة على الصعيد الإجتماعي ما كان في البدء تنافسا تسويقيا ثم صار تنافسا إبداعيا و إثرائيا فهجّن الجلباب بكل أشكال الألبسة العصرية ليكتسب مسماه كجلباب عصري ويستحقه، ومن الجهة الأخرى ساهم هذا الدور الإعلامي بشكل كبير في تسريع تأقلم المرأة الجزائرية مع هته الظاهرة في الوسط المديني، فالموضة اللباسية هي الطريقة، الشكل، العادة، وهي أيضا الرواج الخاص بزمن معين وتعبير عن النجاج والتألق والإحساس بالتواجد كعضو فاعل في المجتمع (Fouchard,2002,p) .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فمن خلال تدقيق الملاحظة في ميدان البحث وجدنا اتجاها آخر من النساء المتجلببات اللاتي ترتدين الجلباب العصري في أشكال مغايرة مثل: من عريض إلى ضيق مع الساقين أو القدمين، من تنورة إلى سروال عريض وغيرها، فينتقل مفهوم الجسد الديني بذاك تدريجيا نحو مفحوم الجسد العصري، وحسب تصريح بعض المبحوثات أنه مهما كان شكل الجلباب إلا أنه يبقى جلبابا بالمعنى الديني إذا توفرت فيه السترة لمفاتن الجسد، وربما ما تعودت عليه المرأة إلا وأنها ارتدته بطريقة حضرية وحافظت على مظهرها الذي ألفته، فأشار بيار بورديو (Pierre Bourdieu) من خلال مفهوم الهابيتوس أن هيئة الجسد تترجم وتعبر عن هابيتوس كل فرد حسبه وأن التاجر والفلاح والموظف ليس لهم نفس الهيئة الجسدية، وتشير فرنسواز شيني فوجيراسوج-ب دويوي إلى أن كون "جسدنا معطى ثقافيا بفعل الواقع فهو نص سواء أردنا أم لا، بجسدنا، بإشاراتنا، وضعياتنا الجسمية، ألبستنا،حليّنا "(الزهرة،نفس المرجع،ص 121)؛وزيادة على ذلك تختلف تفاصيل ارتدائه عن تفاصيل الجلباب العادي حيث أتاح للمرأة المجال لإظهار بعض الملامح منها إخراج ربطة الشعر الداخلية إلى الخارج إبراز ملامح الوجه وتفاصيل زينته والمكياج الذي صار أمرا لايكاد يكون فيه نقاش،إضافة إلى أن ستر منطقة الصدر والأرداف بما يسمى بالدرع أو الكاب ذي الشكل الطويل المسدول حتى الخصر تظهر من خلاله ساقاها بسروال الجلباب الفضفاض الذي صمم أيضا بشكل عصري حيث يتضايق إلى الكعب ويحزم عند القدمين،ولهذا السروال الذي احتل مكان التنورة أو فيما يسمى سروال اللوبيا نوعان: العريض والضيق، وأيضا يبرز هذا الجلباب يبرز تفاصيل اليدين بذات الشكل، فنجد المرأة الجزائرية المسلمة بين ثنائية الديني والعصري وبالرغم من أنها ذات تفكير يغلب عليه الثقافة الحضرية و التحضر إلا أنها تتمسك بالإسلام حيث تصر أن الحجاب يعتبر أداة لرد وحفظ الهوية الدينية والإجتماعية الحقيقية للمرأة.

وقد يرى أن "الحجاب عامل محرر لأنه يقي من عدة أعراض منها التجميل"(Maisonneuve,opcit,p53) ففي الأصل الغاية الوحيدة للمرأة المتحجبة أنها تحفظ معايير الجسد المستور المتحجب وتلتزم ما يغطي جسدها عند خروجها لكي لا تبدو للغير إلا بشكل محتشم يحافظ على خصوصيتها، فهذا اللباس قد يميز طبيعة تدين المرأة ورغم اختلافاته بين جلباب ديني وعصري وغيره يبقى اللباس مسألة شخصية فردية اختيارية تصنع بها المرأة ذوقها ورأيها حول كيفية معاملة جسدها، ووضح ذلك بيار بورديو (Pierre Bourdieu) من خلال مؤلفه التمايز والفوارق، وكيف يمكن لعوامل

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الهيمنة أن تساهم في ذلك خفية بين أفراده كما اعتبر مسألة شخصية غير قابلة للنقاش لأنها انعكاس أملته ظروف الفرد المعيشية، فالمسألة هنا أصبحت مسألة أذواق.

فمن الشكل الجديد انتقالا إلى الخطوة الحديثة الأخرى لإبراز الجلباب في حلة أكثر عصرية وحضرية بإضافة ملابس تشبه نوعا من صيحات الموضة فوق الجلباب من معاطف وأقمصة حديثة حتى يظهر عليه الضبط الجسدي والإنتظام في المظهر حيث على حد تعبير إيرفنج غوفمان (ErvingGoffman) الضبط المنتظم للجسد الجوهري المحافظة على الهوية الذاتية وتقدير الآخرين على ذلك تزايد الضبط الإجتماعي الذي يمارس على الجسد في الحداثة العالية، فالمرأة دائما تحاول أن تحافظ على الهوية الجسدية في نطاق منتظم ضمن قوانين الضبط الإجتماعي الديني، ومن خلال دراسة الباحثة الفرنسية في الأنثروبولوجيا إميلي لورنار ضمن رسالتها في الدكتوراه حول مدينة الرياض فإن النظام التعليمي السعودي فرض نوعا من اللباس في الفضاء العمومي يجب احترامه في إخفاء كل الجسد وفرض مبدأ الحشمة واعتبار أنه يؤكد الهوية الإسلامية ونبذ التقليد للغرب و للرجال؛ ومما أثار انتباه الباحثة أن بعض العادات أصبحت تنتشر في الوسط المدرسي منها تحويل العباءة إلى لوحة عرض لأكسسوارات الزينة الأمر الذي قد يعتبر انتهاكا لتعاليم الإسلام، وتصرح في هذا بعض المبحوثات أنهن قمن بمبادرة ستر مفاتن أجسادهن فهذا خير مما كن عليه وقمن باختيار ارتداء هذا النوع وشعارهن في ذلك عبارة "مستورات ومتحضرات"، فمن خلال المقاربة الرمزية التي قام بها بيار بورديو حول أن الجسد باعتباره رأس مال مادي خضع إلى عملية تسليع وهو شكل من الأشكال التي تبرز هوية البشر ويؤثر في القيمة الإجتماعية التي يتكتسبونها لدى الناس بسبب حجم وشكل ومظهر الجسد.

ومن بين الإضافات التي طرأت على الجلباب العصري أنواع الزينة والتجميل منها المكياج والأكسسوارات كساعة اليد، والبراصلي، والخواتم والقلائد، حيث أنها قد ترمز إلى الجمال وحسن المظهر إذ أن الزينة ترتبط بالموضة وهذه الأخيرة بدورها عامل قوي في تغيير وتعديل معايير الزينة وقيمتها وممارستها، "فالموضة وظيفتها إما أداة ترويج لأساليب ونماذج تخص المظهر وإما هي أداة استهلاك اقتصادية واجتماعية."(Zadtny,1996,24,27)

"إن الإهتمام بالجمال والزينة من صفات المرأة الجزائرية وهي تواكب موضة العصر في جميع الإتجاهات حيث يعتبر المكياج والحلي من ثقافة المجتمع الجزائري منذ القديم وإلى وقتنا هذا كما لمجتمعنا دوره في مجموعة من

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الإضافات والآليات، فالمرأة المتجلببة ساهمت في تبني أنواع من المكياج وتطبيقها على بشرتها عند خروجها إلى الفضاء فاعتبر المكياج من الوسائل البسيطة لتجميل الوجه"(Maisonneuve,1999,77)، واختلف المكياج من فتاة إلى أخرى هناك حسب الإختيار والرغبة بين مكياج خفيف على البشرة ومكياج متوسط داكن على مستوى العين وفاتح على الشفتين والعكس حيث هناك أيضا داكن أيضا.

صار الجلباب العصري كثقافة حضرية مدينيه تعبر عن مدى تفاعل المرأة مع المستجدات فيما يخص الموضة وعالم الجمال وتحاول هي بأي وسيلة كانت أن تنسق بين جسدها وجلبابها ضمن مفهوم العصرنة في اللباس،فالجلباب كونه لباسا إسلاميا دينيا يخضع إلى الترويج التجاري بين ديني وعصري مما جعل المرأة تحصر جسدها وتعبيره بين الأناقة واللباقة،وقد عرّض بورديو: التدين للجسد هو عبارة عن جزء من المقدمة الضرورية في تدين الفضاء، وتصرح من المبحوثات البعض بأن متطلبات العصر تفرض علينا أن نظهر بمظهر عصري حضري حيث أن "المدينة الكبيرة تتوفر على كبرى المحلات التجارية التي توفر أشهر العلامات التجارية التي تستوردها من الدول الغربية وتستعرض كل أنواع لباس الموضة لأن العلامة التجارية ترمز إلى الوضعية التي ينتمي إليها الفرد"(Yves Balut,p29).

ولعل هذا مما أدى إلى دخول المرأة المتجلببة في عالم الموضة واضافة اللباس العصري إلى الجلباب من حقائب وأحذية ومعاطف وكذا التنسيق بين الألوان خاصة بين الحذاء والحقيبة، فمن خلال ملاحظتنا رأينا أن مفهوم الجسد يتضمن عندهن الإهتمام بجمال المظهر حيث أن سلوكيات اللباس تختلف من مبحوثة إلى أخرى رغم أن الجلباب يشكل نقطة مشتركة بينهن ويختلفن في درجة الغوص في عالم موضة الجلباب، فحسب تعريف فريد الزاهي للمظهر أن "المظهر جمالي واجتماعي وتواصلي، فإن كل تغيير تتدخل فيه عوامل متعددة وينبئ هو بدوره عن طبيعة التحول في الممارسة الإجتماعية والتصورات الذهنية لدى الأفراد والمجموعة البشرية كاملة" (الزاهي،نفس المرجع،94)، فتختلف أحذية النساء من كلاسيكي إلى رياضي إلى ذي كعب عاليوالحقائب حسب العلامات التجارية والنوعية.

إن مثل هذه السلوكات الملبسية التي نجدها عند المبحوثات ماهي إلا نتاج إجتماعي ما يجعل المرأة تمارسها وفقا لمعايير وقيم هذا المجتمع وإن كانت وسائل الإعلام والأسواق غير المحلية قد ساهمت في فرضها على أرض الواقع وحين اعتادها المجتمع ولاقت الإنتشار بين الأفراد صار هذا المجتمع ينتج أجيالا تحافظ على

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الموضة وتعتقد بضرورة مواكبتها، وهذا حسب تعبير بيار بورديو عن الهابيتوس يقول ما هو إلا "إنتاج فئة محددة من الثوابت الموضوعية لذلك فهو يميل إلى توليد مسالك معقولة ومنسجمة من الحس السليم وحسبه ينتج الهابيتوس من خلال التربية والتعليم وهو نزوع اجتماعي حتى تصير هذه العملية مشكّلة لمجمل الأفكار والتصورات الواعية والغير الواعية" (عاطف،عماد،2002،ص55)،وفي غير ذلك لما كانت "المدن هي مراكز الثقافة والنشر والإعلام وملتقى خطوط المواصلات ووسائل النقل لذلك كانت تزخر عادة بالدعايات والإعلانات حول الموضات في مختلف الوجوه وكانت الموضة من أهم مشاغل سكان المدن الكبرى في العصر الحديث" (حاتم، ص 174)،وبفعل هذا التأثير قد تعرض الجسد إلى السيطرة لإقحامه في عالم الموضة من أجل أن يصبح جسدا حديثا، وعلى حد تعبير بالوندي أن "الحداثة تجعل من المجتمعات مهيمنة ومتطورة، فهي تمثل النماذج العالمية للحداثة إنما يسمح بالإعتقاد بأن هذه البلدان في تقدم مستمر" (Balandier,1967,210).

الخاتمة:

في ختام هذا العمل يمكن القول بأن الجسد الإجتماعي هو المرآة العاكسة لثقافة معينة داخل مجتمع ما، فجل أنشطتنا اليومية لها علاقة لصيقة بأجسادنا وخصوصا حين نتكلم عن الجسد الأنثوي كون موضوع المرأة في مجتمعاتنا يعتبر أرضية خصبة للكتابة.

ليس هذا فحسب بل أصبحت أجسادنا بأبعادها تخضع للعديد من التحولات الراهنة والتي تظهر في علاقتنا الخارجية بالعالم المحيط، فمن بين هذه الظواهر يعتبر الجلباب هو الآخر محلا لجملة من التغيرات حسب ما لوحظ على مجمل سلوكات المبحوثات وخطاباتهن، الأمر الذي يترجم دينامية المجتمعات والتي تجعل من الفاعلين الإجتماعيين أهم عنصر معرض وقابل للتحولات.

قائمة المراجع:

1. الزهرة إبراهيم، الأنثربولوجيا و الانثربولوجيا الثقافية،(2009) وجوه الجسد، الناي اللدراسات والنشرو التوزيع
2. مباركة بلحسن،(2019)المرأة الحسانية وثقافة الجسد،مقاربة انثربولوجية للجنسانية،دارالوطن
3. عاطف عطية،عبد الغني عماد (2002)، البيئة والانسان ،دار مختارات

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

4. حاتم الكعبي (1973)،السلوك الجمعي،مطبعةالديوانية الحديثة
5. دافيد لوبروتون، ترجمة محمد عرب صاصيلا، أنثربولوجيا الجسد والحداثة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، الطبعة الثانية.
6. طيبي غماري،(2018)الجسد من البيولوجيا الى العلوم الاجتماعية،كوكب للعلوم
7. فريد الزاهي(2012)،الجسد و الصورة و المقدس في الإسلام، افريقيا الشرق
8. عبدالله حمودي، الأضحية وأقنعتها، بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب ،دار توبقال
9. نجوى السعيدي بوغلاب، (2019)المرأة والاحجبة التقليدية بتونس،دراسة من تقديم ،سلسلة افاق الدراسات والبحوث ،تونس.
10. ملاك إبراهيم الجهني ، (2015) قضايا المراة في الخطاب النسوي المعاصر ،الحجاب أنموذجا ،مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت،لبنان .
11. كرس شلنج (2009) ،ترجمة منى البحر،نجيبالحصادي،الجسد والنظرية الاجتماعية ،دار العين،أبوظبي الامارات
12. خلود السباعي، (2011)،الجسد الأنثوي وهوية الجندر،جداول للنشر والتوزيع
13. ادريس العشاب(2011)،إشكالية الجسد قراءة في الخطاب الفلسفي والسوسيولوجي ، نشر في مجلة مغرس ،مجلة الكترونية في طنجة.
14. الجيلالي المستاري ،(2006)،الجسد والمقدس قراءة في الخطاب الفقهي لابن قيم الجوزية ،انسانيات ، العدد 31.
15. بوزكري أمال،(2018)،المرأة ونسق الموضة من الاحتشام الى السفور،مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية .
16. نعمان جسوس سمية ،(2011)، بلا حشومة، الجنسانية النسائية في الغرب،المركز الثقافي العربي،المغرب .
17. Jean Maisonneuve Bouchon-Schweitzer(1999),Le corps et la beauté,puf,Paris.
18. Karine tinat,éthique de la mode féminine(2010), Cairn,N 25
19. CarolMan ,(2017) , De la burqua afghane à la hijabista mondialisée,L'Harmattan.
20. Bullok Katherine(2007), Repenser la femme musulmane et le port du voile ,le scribe L Harmattan,

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

21. François Chenet-Fougeras et Jean-Pierre Doupouy ,(1981) LeCorps ,Ed .Larousse ,Collection « Idéologies et Sociétés »
22. Marcel Mauss,Sociologie et anthropologie,PUF ,Paris,1950
23. Le Breton David , (1990)Anthropologie du corps et modernité,puf ,Paris
24. Gille Fouchard ,(2002), La mode art et culture, Ed le cavalier Blue, paris
25. George Balandier(1967),AnthropologiePolitique,puf,Paris
26. Zidatny,Steven(1996) « La mode a la Garçonne de 1900/1925 une histoire sociale des coupes de cheveux »in revue le mouvement social,paris,Edition de l'Atelier, N ° 174.
27. Pierre Yves Balut(2014), Théorie de vêtement,L'Harmattan.